جامعة محمد لمين دباغين سطيف2
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم علوم الإعلام والاتصال

المستوى: الثانية ماستر تخصص ' الاتصال الجماهيري والوسائط الجديدة '

مقياس: إثنوغرافيا الجمهور والمستخدمين

المحاضرة الثالثة : الاثنوغرافيا

1- نشأة وتطور الاثنوغرافيا :

ظهرت كلمة "اثنوغرافيا" للمرة الأولى عام 1772 لدى المؤرخ الألماني شلاتزر Schlazer لكي تعرف عن منهج ليني لدراسة تاريخ الشعوب الخاص"، وفي المدرسة الفرنسية ظهر مصطلح اثنولوجيا Ethnologieعام 1787 لأول مرة في كتاب شافان Chavannes دراسة عن التربية الفكرية مع مشروع لعلم جديد.

والاثنوغرافيا من أقدم فروع المعرفة في علم الأنثربولوجيا عندما قام الأوربيون بوصف القبائل والشعوب المحلية في أمركا وإفريقيا واستراليا واسيا حيث وصفو أدواتهم وعاداتهم وتقاليدهم وكل ما يتصل بثقافاتهم المادية المختلفة وسرعان ما تبنى الانثروبولوجيون هذه المعلومات واستخدموها في دراساتهم لتطوير المجتمع البشري أما في علم الآثار فقد استخدمت هذه المعلومات من المجتمعات البدائية والبسيطة والتقليدية لنماذج مجتمعات ما قبل التاريخ والتاريخ القديم وذلك عن طريق عقد المقارنات البسيطة وحتى أسماء ووظائف الأدوات التي توجد في المواقع الأثرية أخذت من ما هو معروف لدى الشعوب البسيطة التي درسها ووصفها الاثنوغرافيون . وهكذا فإن استخدام الاثنوغرافيا في الآثار قديم قدم العلم نفسه.

بدأت أبحاث الإثنوغرافيا بشكل مضبوط مع بداية القرن العشرين مع اثنين من التطورات الفكرية المستقلة بالكامل، الأولى في بريطانيا، والأخرى في أمريكا الشمالية.

الأول تمثل في: ظهور الأنثروبولوجيا الاجتماعية التقليدية الكلاسيكية في بريطانيا، مع كوكبة من المفكرين مثل مالينوفسكي ، بواس ، رادكليف براون وإيفانز بريتشاد

التطور الثاني: كان عمل مدرسة شيكاغو في علم الاجتماع، والذي استخدم تقنيات الملاحظة لاستكشاف المجموعات الموجودة على هامش المجتمع الصناعي الحضري في الولايات المتحدة خلال سنوات 1920 و1930 ،

بالإضافة إلى دراسات مهمة للعديد من المجموعات الفرعية المنحرفة مثل :تجار المخدرات وعصابات الشوارع ومهن حضارية غير اعتيادية ، اضافاة الى البعض من المجتمعات كتلك الموجودة في المنازل المتساقطة وقاعات هزلية والمهاجرون البولنديون وثقافة الأحياء الشعبية اليهودية وثقافة الأحياء الفقيرة

2- تعريف الاثنوغرافيا:

تعني الدراسة الوصفية لطريقة وأسلوب الحياة لشعب من الشعوب أو مجتمع من المجتمعات، واصطلاح الاثنوغرافيا Ethnographyفي بريطانيا يعني البحوث الوصفية والتحليلية التي قام بها علماء الانثروبولوجيا البريطانيون حول الشعوب والأقوام البدائية التي درسوها دراسة ميدانية؛ وبالرغم من أن الاثنوغرافي يهتم بالدراسة الوصفية للمجتمعات البدائية والانثربولوجي الاجتماعي يهتم بالتحليل البنائي أو التركيبي للمجتمعات البدائية فان هناك ارتباط وتداخلاً وثيقاً بين هذين العلمين بخصوص الدراسات العلمية التي يقومان بها.

2- أهداف علم الاثنوغرافيا :

- إن الهدف الرئيس للبحوث الإثنوغرافية كان دراسة المجتمعات البدائية، على نحو دراسات **مالينوفسكي** عن مجتمع الأرغنوس، ودراسة **راد كليف براون** عن مجتمع الاندمان، ودراسات **مارغريت ميد** عن شعوب أمريكا الجنوبية، - **ومع تطور الإثنوغرافيا** في العقود الأخيرة من القرن العشرين، إلا أنها اتخذت مسارات علمية متعددة، واستخدمت في كثير من فروع العلم بأساليب بحثية متنوعة .فلم تعد تقتصر على دراسة الثقافة البدائية، ولكن تخطت ذلك إلى دراسة الثقافات في المجتمعات الحديثة والصناعية والمتطورة، ويرى Patton أن البحث الإثنوغرافي يعنى بالثقافة بشكل خاص. فسؤاله الدائم هو :ما ثقافة هؤلاء الناس؟ وهل يفترض أن أي مجموعة من الناس تعيش مع بعضها لفترة زمنية معينة ستكون ثقافة معينة خاصة بها؟ وما انعكاسات هذه الثقافة على تشكيل سلوكهم، وممارساتهم الحياتية، ونظرتم إلى الواقع الاجتماعي والثقافي الذي يعيشون فيه؟ ويرى Ogbu أن البحث الإثنوغرافي هو طريقة وأداة لفهم أساليب مجتمع /جماعة وطرائق عيشه في الحياة اليومية، من خلال التعرف عن أفكار أعضائه ومعتقداتهم وقيمهم وسلوكياتهم، وتعاملهم فيما بينهم، ويتم ذلك عن طريق **الملاحظة بالمشاركة** في الوضع العادي لطبيعة حياتهم من جانب الباحث

3- ميزات الاثنوغرافيا : ووفقا لـHammersley الباحث البريطاني، فان علم الإثنوغرافيا هو البحث مع الميزات التالية:

- يتم دراسة سلوك الناس في السياقات اليومية العادية بدلاً من تجارب وظروف غير طبيعية يتم إنشاءها من طرف الباحث.

- يتم جمع البيانات من خلال تقنيات مختلفة ولكن في المقام الأول عن طريق الملاحظة.

– يعتبر جمع البيانات مرنًا وغير منظم لتجنب الترتيبات والاستعدادات المسبقة التي تفرض قيود فئوية على ما يقوله ويفعله الناس.

– يكون التركيز عادة على نسق أو مجموعة واحدة وعلى أدنى نطاق.

– يتضمن تحليل البيانات إسناد معاني الإجراءات البشرية الموضحة والموصوفة، أي تفسيرها بشكل واقعي من خلال ربط تلك الإجراءات والأفعال بسياقها الطبيعي.

4 – العلاقة والفرق بين الانثولوجيا ، الاثنوغرافيا ، الانثروبولوجيا : اثبت العديد من الدراسات انه بالرغم من التداخل بين الثلاثة مصطلحات الا ان هناك فرق وعلاقة وتكامل بينهم، ويمكن إبراز الفرق والعلاقة بينهم فيما يأتي :

– تعني الإثنوغرافيا : الدراسة" الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد " والعادات والقيم والأدوات والفنون، المأثورات الشعبية لدى جماعة معينة أو مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة

– أما الاثنولوجيا تعني: الدراسة التحليلية والمقارنة للمادة الاثنوغرافية.

– مصطلح الانثولوجيا هو : ذلك العلم الذي يُعنى بتجميع المادة الاثنوغرافية بصورتها المقارنة.

– كما تعنى الاثنولوجيا : بأنها عملية التحليل للمادة الاثنوغرافية ، كما أن المادة الاثنوغرافية تشكل قاعدة أساسية لعمل الباحث الانثروبولوجي

– فالاثنوغرافيا تعد مقدمة للعمل الاثنولوجي، وهي بذلك تمثل جانبا من الدراسة الاثنولوجية وليس علماً مستقلا .

– كما أنها تسعى إلى تقديم صورة واقعية وتقريرية للأمور الحياتية لمجتمع معين خلال فترة زمنية معنية

– أما الاثنولوجيا :فهي الدراسة المقارنة للثقافات المعاصرة والثقافات التي تتوفر عنها وثائق تاريخية (تجميع وترتيب وتنظيم البيانات الاثنوغرافية)، ثم تبدأ بعد ذلك عملية التحليل والتنظير عن طريق دراسة هذه الملفات وبياناتها، وهنا فقط تشرع الانثروبولوجيا وتبدأ حيث تنتهي الاثنولوجيا.

– كما يمكن التذكير بأن أي دراسة اجتماعية تتضمن المراحل الثلاث هذه، فكل باحث يسير وفق خطوات مدروسة: حيث تبدأ الاثنوغرافيا " بتجميع المادة من الميدان"، ومن ثم الاثنولوجيا" ترتيب البيانات وتنظيمها ومقارناتها"، وبعد ذلك الانثروبولوجيا"تحليل وتنظير."

– بالتالي لا تشكل الإثنوغرافيا والإثنولوجيا والأنثروبولوجيا :ثلاثة تخصصات مختلفة أو ثلاثة مفاهيم مختلفة لنفس الدراسات .بل في الواقع تمثل ثلاث مراحل أو ثلاث لحظات من نفس البحث، وتفضيل واحد من هذه المصطلحات يعبر فقط عن الاهتمام السائد والموجه نحو نوع من البحث.